الحضور النسوي في روايات (السنعوسي)
قراءة في الأنماط والعلاقات

م.د.باسم محمد عباس
أ.م.د. لطيف محمود محمد
جامعة الأنبار/ كلية التربية /قسم اللغة العربية

المستخلص: تسعى هذه الدراسة إلى مقاربة تحديد وتشخيص الهوية النسوية في روايات (سعود السنعوسي)، وذلك من خلال استكشاف حضور المرأة وتعدّد صورها في ذلك النتاج الروائي، إذ كان لها حضورها الفاعل في بناء الحدث وإعادة تشكيله، بما يتناسب والنسق الدلالي والثقافي الذي يؤطر وجودها داخل المنظومة الاجتماعية، ومن جهة أخرى تتشكّل الهوية النسوية في هذه النصوص من خلال ارتباطها بالسلطة الذكورية المهيمنة التي تحدّد وضعية المرأة في الحيز الاجتماعي، والحكم عليها بالإقصاء واستلاب ذاتها الفاعلة.

وتتكأ هذه الدراسة على مبحثين، تناولنا في الأول: أشكال المرأة ، ووقفنا على أشكال حضورها وطبيعة أزماتها المتعددة ، أما المبحث الثاني فاختصّ بالمرأة وعلاقتها بالرجل، إذ تأخذ هذه العلاقة تراتبية اجتماعية تمنح الرجل امتياز الهيمنة والتسلط اجتماعياً وثقافياً.

الكلمات المفتاحية: المرأة، روايات، السنعوسي، الأنماط، العلاقات.

مدخل

تسهم الرواية العربية عبر مختلف عوالمها في اثارة قضايا مهمة طالما شغلت الخطاب المؤسساتي، الثقافي والاجتماعي . وفي خضم تعدد اسهامات الروائيين العرب الكبيرة في رسم معالم البناء السردي وفضاءاته المتباينة ، تطالعنا متون سردية كان لها حضور فاعل في رفد الخزانة الادبية العربية بنصوص روائية تمكنت بطريقة أو بأخرى من احتواء الهم النسوي وطرح اشكالياتها وأنماطها ، فضلا عن طبيعة علاقتها مع الآخر المتمثلة بالرجل .

يعد (سعود السنعوسي) [1] واحدا من الروائيين الذين قدموا اسهامات في هذا الجانب المرتبط بتكوين ملامح الشخصية ومنها المرأة التي كان لها حضورها الواسع ودورها الفاعل في بناء الحدث وإعادة تشكيله ، كما أن الكاتب تمكن من رسم صورة لها بوصفها بنية صلبة تخدم حركة السرد بالدرجة الأولى، والتركيز على عوامل ضعفها وقوتها من خلال الدور المنوط بها في العملية السردية.

انبنت هذه الدراسة من محورين يقوم الاول منهما على استجلاء صور المرأة في روايات الكاتب والوقوف على أشكال معاناتها واضطهادها من الفرد والمجتمع، أما المحور الآخر فيتناول المرأة واشكالية علاقتها مع الرجل، إذ تبدو هذه العلاقة غير متوازنة في كثير من جوانبها، يشوبها الحرمان والخيبة وأحياناً أخرى القمع والتسلط . وقد يكون الرجل هو رمز الهيمنة والتمكن، أو ربما تضطلع المرأة بهذا الدور فتفرض على الرجل وجوداً هامشياً لا يتناسب ودوره الذكوري المؤثر في حيز الوجود الإنساني.

---

[1]() سعود السنعوسي: كاتب وروائي كويتي، عضو رابطة الأدباء في الكويت وجمعية الصحفيين الكويتيين، فاز عام 2013 بالجائزة العالمية للرواية العربية في دورتها السادسة عن روايته (ساق البامبو) التي حصدت جائزة الدولة التشجيعية في دولة الكويت عام 2010م.

أما فيما يتعلق باختيار الشخصيات النسوية، فقد اتكأ البحث على الشخصيات التي كان لها تأثير فاعل في سيرورة العملية السردية، والابتعاد عن المرأة المهمّشة التي لا تحظى بوجود دلالي مؤثر أو حضور ملحوظ في بنية الحدث الروائي.

المبحث الأول: أنماط المرأة:

حملت روايات (سعود السنعوسي) هموم المرأة وتطلعاتها التي عانت صراعاً داخلياً عقيماً بحثاً عن هويتها المفقودة في خضمّ واقع قيّد حريتها ورغبتها في تحقيق ذاتها، وهنا حاول الكاتب رصد تلك المعاناة من خلال رسم ملامح بنيتها الداخلية وتجسيد دورها النمطي المأساوي داخل الحدث الروائي.

تعدّدت أشكال المرأة في نتاج الكاتب باختلاف ما تحمله من هموم وما يثقل كاهلها من آمال وأحلام، فتارة مغتربة تحيا تحت نير سلطة مستبدة ومجتمع جرّدها من انسانيتها وهويتها، ومرة مستلبة فاقدة لإرادتها وحريتها، وأخرى محبطة لا مناص لها الا الانزواء والتقهقر، لذلك فقد انطلقت هذه الدراسة -وفق هذه المعطيات-إلى تقسيم المرأة على ثلاثة أنماط هي: (المرأة المغتربة، والمرأة المُستلَبة، والمرأة المحبطة)، وهذه الأنماط تتوافق مع طبيعة المرأة وتكوينها الذاتي والاجتماعي في هذا النتاج الإبداعي.

1_ المرأة المغتربة:

حفلت روايات (سعود السنعوسي) بنماذج متعددة من الشخصيات الإنسانية التي مثلت عبر حضورها ما تعانيه من أزمات ومشكلات اجتماعية واقتصادية، وفي المقابل يتجلى لنا ذلك الوعي الفردي الذي يحاول إعادة صياغة الواقع بشيء من المواجهة التي قد تبدو في أغلب الأحيان عبثية لا تستطيع أن تبلور رؤية ثورية تمكّنها من قلب المعادلة لصالحها، كما سيتجلى ذلك من خلال توظيف الكاتب لتلك الشخصيات النسوية في نتاجه الإبداعي.

تُعد المرأة المغتربة واحدة من النماذج الإنسانية التي شغلت حيزاً واضحاً داخل بنية الحدث الروائي، فمأساتها تتجلى في كونها فاقدة لبعض أو كل ما يُشعرها بالانسجام والتماهي مع الواقع الذي تحياه، وكذلك افتقادها لمرجع يوجه لها سلوكها وموافقها ومن ثمّ يعني ذلك انعدام القدرة على ((التأثير في المواقف الاجتماعية التي يتفاعل معها، واللامعنى والتي تعني شعور الفرد بأنه لا يمتلك مرشداً أو موجهاً لسلوكه واعتقاده))[2]، ويتنامى هذا الشعور حتى يصل الفرد إلى نتيجة حتمية مخيّبة تتمثل بـــ ((عدم القدرة على إيجاد المكافأة والقبول الاجتماعي))[3].

حملت النصوص الروائية هموم شخصياتها النسوية التي تبلورت في خضم مجتمع رسم ملامح اغترابها، وذلك لأنه مجتمع كان يفتقد لصور التلاحم والروابط المتينة ، وهذا ما انعكس سلبا على بعض الشخصيات النسوية في روايات السنعوسي وأشعرها بالوحدة والاغتراب ، ففي رواية (سجين المرايا) تتجلى حالة اللا توافق بين (مريم)_ أو (ريم) كما كانت تسمّي نفسها_ وأفراد أسرتها، فهي ترفض ما تتعرّض له من تغييب وإهمال من أهلها. يقول (عبد العزيز) ناقلاً عنها ما تعانيه :((**فتحتِ في تلك المكالمة أبواب قلبكِ على**

[2] ( ) الاغتراب (دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلّون الروائية)، يحيى العبد الله:23 .
[3] ( ) الاغتراب (دراسة تحليلية): 23 .

مصاريعها لتتحدثي عن معاناتكِ جراء انصراف والديكِ وأخوتكِ عنكِ كونكِ أصغر أفراد أسرتكِ، وأكدتِ في أكثر من مرة بأنكِ لا تحلمين بشيء سوى أن يلتفت أفراد أسرتكِ إلى وجودكِ بينهم، وأن يظهروا لكِ محبتهم واهتمامهم))[4].

إنّ بوح (مريم) لمشاعرها هو رفض بحدّ ذاته، لكن فعل البوح لا يصل بها إلى تحقيق التوازن النفسي الذي تطمح إليه، لذلك فإن اكتشافها لأسباب اغترابها ومصادره يضعها أمام مواجهة كبرى تحاول من خلالها البحث عن حب من نوع آخر، يعوّضها عن إحساسها بفقدان دفءأسرتها وحنانها ، فعلاقتها مع (عبد العزيز) كان محاولة لتحقيق ذلك التوازن المفقود، لكنّها كانت تشعر في كل لقاء أو اتصال بينهما أن ذلك الحب لا يحقق لها استقرارها الذاتي والاجتماعي الذي كانت تفتقده ، فقد كانت ترى في (عبد العزيز) انساناً لا يقوى على البوح بمشاعره كما كانت ترغب هي: ((**كُفّ عن ترديد الأسئلة وكأنك تهتمّ لأمري، أنت لا تبالي يا عبد العزيز أني بحاجة لمن يفهمني..حاولت أن أفهمك إلا أنك صعب الفهم، إلى متى ستستمر علاقتنا الغريبة؟ ساعات عبر الهاتف لا تطفئ نيران لهفتي وأشواقي، لم أعد أحتمل هذا الوضع. أتمنى أن تبادر ولو لمرة "ريم أريد أن أراكِ" لا تتكلم عن الحب أرجوك سمعته صحيح ولكني لم ألمسه ولم أتذوقه ولم أشعر به إطلاقا...))**[5].

عاد الاغتراب مرة أخرى يلحّ على وعي الشخصية، لأنها اكتشفت أن حبها لـــ (عبد العزيز) لم يكن سوى محاولة لرأب صدع تركته العائلة في نفسها، فهي ترى أن الحب عندها أكبر من كونه عاطفة مجردة أو إحساس روحي مقيّد، يقول الراوي واصفاً إحدى رغباتها الجامحة معه:((**.. كنت لا أرى سوى عينيكِ اللتين لا تريان سوى عينيّ. لحظات ثم هبط نظركِ نحو شفتيّ، في حين ارتفع نظري نحو جبينكِ في محاولة مني للهرب، ملت برأسي للأمام بضعة سنتيمترات لأصل إلى هدفي وهو جبينكِ. ولكنكِ وقفت على أطراف أصابعكِ بحركة رشيقة، كبجعة مدّتِ جسدها تحت أشعة الشمس، كراقصة بالية محترفة، لتضيفي إلى طولك سنتيمترات قليلة تنالين بواسطتها هدفك**))[6]. كان الدافع النفسي القائم على التمكّن والاستحواذ هو المحرك الأساس والموجّه الفعلي لسلوك (مريم) لذلك فقد تطمح أن تنال أكثر مما وهبه لها(عبد العزيز)، فالتناقض في السلوك واختلال العلاقة بينهما أوجد أزمة وجدانية قائمة على التنافر التام بين الرغبة / التي تمثلت بمريم ، والتقهقر/ الذي تمثل بعبد العزيز، يقول: ((**لقد شُلّت رجولتي تماماً بإرادتي لا بسبب شيء آخر، تلك الرجولة التي حُصِرَت باستعراض الخبرات فوق الأسرّة. أهكذا الرجولة في نظركِ؟ في اللحظات التي يكون فيها المرء أضعف ما يكون أمام شهواته. كيف تكمن الرجولة في الضعف، والاستسلام لأوامر الجسد؟!**))[7]، فالمونولوج الداخلي عزّز من إحساس (عبد العزيز) باللاجدوى وعبثية علاقته مع (مريم) الباحثة عن ذاتها ، لذلك تقرّر أن تتصارع مع اغترابها في محاولة لتخطي واقعها، فتدخل في علاقة حب مع شخص آخر، وجدت فيه جزأها المفقود، تقول له ناقلة تجربتها العاطفية الجديدة: **((...عبد العزيز صدقني..صدقني ما**

---

[4]() سجين المرايا، سعود السنعوسي: 49.
[5]( ) سجين المرايا: 94 .
[6]() المصدر نفسه:79 .
[7]( ) سجين المرايا:82 ,

كان لعلاقتنا هذه أن تستمر أبداً. لستَ المذنب، ولكن ليس بإمكانك أن ترد لي ما منحته أنا للغير. وهو اليوم، وبعودته إليّ وارتباطه بي، سيعيد لي أغلى ما أخذه مني. لا أستطيع الارتباط بشخص سواه. افهمني أرجوك))[8].

ومن مظاهر الاغتراب الأخرى في سلوك (مريم) ما تعانيه من صراع داخلي وانقسام على الذات ، فهي ترى أن مشاعرها لا تزال منقسمة بين حبيبها الأول وحبيبها الجديد: ((**حين قلت لك تلك الكلمة..لم أكن أفتعل تلك المشاعر..أقسم لك بأني كنت أعنيها..وجدتني تائهة بين شخصين**))[9]، وهنا تحقّقت حالة الاغتراب نتيجة الصدام بين مشاعرها وتشظي مواقفها العاطفية، فاضطرابها الوجداني شكّل علامة دالة على القلق الذي كان ينتابها حتى بدت عاجزة عن السير في عالمها الداخلي على نحو منتظم .

وفي السياق نفسه يتراءى لنا أنموذج آخر للمرأة التي شكّل الاغتراب قوة ضاغطة على سلوكها ونمط حياتها، مما جعلها تنكفئ إلى ذاتها، فـــ(كاثرين) فتاة إنكليزية التقى بها (عبد العزيز) في بريطانيا، مجهولة الأبوين لا تعرف عنهما شيئاً، ولكنها مع ذلك تحيا بهدوء وسكينة، وهذا ما ينقله الحوار الذي دار بينهما:

((_ **بماذا تفكر؟**

_ **بمعاناتكِ..**

_ **ضحكت...**

_ **ومن قال لك إني أعاني؟**

_ **تلك الأحزان التي تبوحين بها.**

_ **لقد ولدت معي، وألفتها.**

_ **كيف؟**

_ **إن أشد الأحزان تأثيراً هي تلك التي لا تطرق الباب قبل أن تدخل، تباغتنا قبل أن نجهّز لها مكاناً بداخلنا**)).[10] فصوتها في هذا الحوار وُلد من عمق معاناتها، صوت يشير الى حالة من التوافق فيما بين كاثرين من جهة ، وأحزانها من جهة أخرى . ان الذات ، وفي اطار وعي خاص ، قد لا تعيش الاغتراب فقط ، بل تقبل به وتدافع عنه[11]. بدت كاثرين في حقيقتها تعاني اليتم وتتمنى أن تمتلك أي شيء من والديها: ((_ **جميل أن يحمل المرء ذكرى والديه بعد موتهما. جميل أن يحمل لهما صوراً، ولو كان ذلك في مخيلته، جميل أن يتذكر بأنه قد نشأ في كنفهما. جميل أن يعرف كيف يتهجى اسميهما. جميل أن يُنسب لهما...**))[12]. لقد برز الاغتراب عند (كاثرين) في صورة يكتنفها التناقض بين حالتين(الرضا/الألم) فهي تحاول أن تطوّع معاناتها بما يمدها بأسباب القوة والظفر، ومن جهة أخرى يغلب على سلوكها الفقد واليتم ، ويمتدّ الأمر ذاته إلى تجربتها العاطفية، فالإخفاق فيه شكّل لها مصدراً إيجابياً في حياتها على الرغم من فشلها في أغلب تلك التجارب، يقول

---

[8]( ) سجين المرايا:225 .

[9]( ) المصدر نفسه:222 .

[10]( ) سجين المرايا:147 .

[11]( ) ينظر: الاغتراب في رواية (البحث عن وليد مسعود) لـــ (جبرا إبراهيم جبرا)، د. حماد حسن أبو شاويش:130 .

[12]( ) سجين المرايا: 144 .

(عبد العزيز): ((عرفت، **أنها ورغم واقعها الحزين، كانت تعيش من أجل حلم بحياة أفضل، لا تتوقف عند مشكلة. أحبّت.تعثّرت.كرّرت التجربة..مرة تلو المرة بحثاً عن فارسها ولم تجده، ولكنها رغم فشلها كانت سعيدة بذلك الحب الذي يملأ قلبها، رغم كل النهايات الحزينة التي توجت تجاربها**))[13].

ويتبلور الجانب المظلم من الاغتراب جليّاً عندما تفصح له عن مأساتها بفقدان من أحبت بصدق: ((**وجّهت سبابتها في ليلة ما نحو السرير وقالت: ((... لم أجد حباً حقيقياً سوى مرة واحدة..**

_ولِمَ لم يستمر ما دام حباً حقيقياً؟

_ في حرب الخليج الأخيرة..سقط قتيلاً في العراق.

_ وكيف تلقيت الخبر؟

_ كانت فاجعة، ألم أقل لك أن أشد الأحزان تأثيراً هي تلك التي لا تطرق الباب قبل أن تدخل؟ احتلتني الأحزان ساعتها من دون أن أجهز لها مكاناً بداخلي. اختفى فجأة من حياتي، حتى أنه لا قبر له يجعلني أشعر بوجوده في مكان ما، لقد اختفى تماماً. أصبح رماداً تذروه الرياح في بغداد))[14].

لقد كشف الحوار بوصفه وسيلة تعبير عن رؤى وأفكار الشخصيات[15] ما يختلج في نفس (كاثرين) من مشاعر تولّدت بفعل غياب الآخر/الحبيب ، وهي على الرغم من اغترابها العاطفي جعلت من فقد الحبيب سبباً لبحثها عن ذاتها وعن نظام حياة جديد يناسبها. إن طموحها في إقامة علاقات إيجابية مع الآخر، هي الغاية التي تمكّنها من التغلب على عزلتها، والخروج من هالة الاغتراب التي فُرضت عليها من الخارج، فالحب عند المرأة بعامة قد يصبح سلوكاً تعويضيا يُخرجها من دائرة العزلة والانكفاء إلى الذات[16]. وهذا ما صرحت به لـــ(عبد العزيز) وهو يهمّ ركوب القطار عائدا إلى وطنه، تقول: ((_ **لا تقل شيئاً واذهب إلى تحقيق حلمك..أما أنا فلا تقلق بشأني فسأكرر محاولاتي ولن أيأس وسوف أعثر على من يحبني بكل تأكيد**)) [17]

وتتعدّد أشكال الاغتراب في رواية (ساق البامبو) بتنوّع الهم الإنساني الذي تحياه المرأة، فتطلّ علينا (خولة) أخت (عيسى/هوزيه) هي الأخرى التي يتملكها احساسٌ بعدم الانتماء الحقيقي الى محيطها ، فعلى الرغم من حبّ أهلها لها، فإن ذلك الحب لم يمنحها الاستقرار والطمأنينة، فشعورها بالوحدة وسّع من دائرة اغترابها، الأمر الذي قد يدفعها الى البحث عن بديل لمحيطها ، فتقرر الخروج من عالم البشر بحثاً عن بديل ينتشلها من اغترابها، يقول (عيسى) واصفاً معاناتها من خلال الحوار الذي دار بينهما: ((هي **وحيدة بالرغم من أنها محاطة بجدتي وعماتي.**

حين سألتها ذات يوم كيف تقاوم شعورها هذا، أذهلتني بإجابتها:

---

[13]( ) المصدر نفسه:153 .

[14]() سجين المرايا:154 .

[15]( ) ينظر: البناء الفني لرواية الحرب في العراق، د. عبد الله ابراهيم: 14 .

[16]( ) ينظر: الاغتراب في الشعر العراقي، محمد راضي جعفر: 14 .

[17]( ) سجين المرايا:191 .

_ كلما شعرت بالحاجة إلى شخص يحدثني..فتحت كتاباً.
فكّرت قليلاً ثم قلت لها:
_ ولكن الكتاب لا يسمع
.....
_ إذا احتجت إلى التحدث لشخص ما بكل ما أخجل من البوح منه.
سكتت قليلاً. ابتسمت، غمزت بعينها قبل أن تستطرد:
_ عزيزة ..خير من ينصت لي..))[18]. لقد رغبت خولة نتيجة لعزلتها في أن توفّر مخرجاً تخيلياً من حياتها الرتيبة، وهذا المخرج يتمثل بركونها إلى عالم بديل يحقق لها استقرارها الذي تصبو إليه، فلجأت إلى (عزيزة) السلحفاة الصغيرة تبوح لها ما تعانيه من أزمات داخلية بسبب القيود التي تكبّل حريتها.

وتتضّح معاناتها أكثر ويزداد اغترابها عندما تتوالى عليها قيود المجتمع وسطوة العادات والتقاليد، بوصفها عوامل ضياع واستلاب لذاتها الأصيلة . فاغترابها الاجتماعي/القيمي وسّع من دائرة الصراع الداخلي/الخارجي عندها وعزّز من إحساسها بالخضوع التام له . تقول في إحدى مكالماتها الهاتفية مع أخيها (عيسى/هوزيه): **((لو أننا ننتمي إلى واحدة من العائلات التي نصفها كيفما شئنا بالعائلات الـــ . . . تردّدت. لعلها أوشكت أن تصفها بالوضيعة، تداركت: "العائلات العادية". واصلت:"لكانت عمتي هند زوجة غسان منذ زمن، ومن دون أن يجرؤ احد للنيل من اسم عائلتنا وجعلها مادة للتندر. الطاروف يزوجون ابنتهم لرجل" بدون " ينتمي في اصوله إلى القبيلة ذاتها التي تنحدر منها عائلة الطاروف. لو أننا ننتمي إلى عائلة أخرى عادية لكنت أنت الآن تسكن معنا بدلاً من أن ترتعد جدتي عند كل زيارة يقوم بها الناس لبيتنا خشية أن يفتضح أمرك..))**[19].

أننا أمام موقف تتجلى فيه المرأة في تعاملها مع العائلة بوصفها جزءاً من المنظومة الاجتماعية، وهو موقف يطغى عليه الانفصال التام والقطيعة الفكرية بين الشخصية والمجتمع، ويتنوع في خطابها وسائل الرفض بين ادانة الواقع والرغبة الحقيقية في تغييره، فحركة هذه الذات المغتربة نحو الخلاص تكاد تكون معدومة، وهذا ما تجلى في قولها(لو أننا ننتمي إلى واحدة من تلك العائلات العادية)، وهذا يدلّ على استحالة الاصلاح الشامل وصعوبة تغيير تلك المفاهيم والثورة عليها ، وهذا الشعور بعدم القدرة على التغيير قد يشير الى حالة انكسارها وتضخم في الاحساس بهامشيتها على المستوى الاجتماعي .

إنّ شعور(خولة) بالاغتراب يأتي من انقيادها التام لسلطة المجتمع وقيود القبيلة؛ لأن الاغتراب على وفق هذا المفهوم ((حالة الإنسان العقلية عندما يخضع لسلطة متعالية عليه ومنفصلة عن إرادته)) [20], وهذا الخضوع المطلق لقيم المجتمع عزّز من شعور الشخصية باللاجدوى، فهي وباقي أفراد أسرتها عالقون بشبكة لا سبيل لهم للخروج أو التحرّر منها . تقول لـــ(عيسى) واصفة معاناتها واغترابها :((**أنت تعرف أنك تنتمي إلى عائلة الطاروف، ولكن هل تعرف ماذا تعني كلمة الطاروف ؟ لست أنتظر منك**

[18]( ) سجين المرايا:259-260 .
[19]( ) ساق البامبو، سعود السنعوسي: 348 .
[20]( ) الاغتراب (دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلّون الروائية) : 37 .

اجابة على هكذا سؤال، فهي كلمة كويتية صرفة، يكاد الكثير لا يعرف لها معنى. الطاروف شبكة يستخدمها الكويتيون لصيد السمك. تُثبّت في البحر كشبكة كرة الطائرة، تعلق فيها الأسماك الكبيرة عند المرور بها. ونحن، أفراد العائلة عالقون بهذا الطاروف، عالقون باسم عائلتنا، لا نستطيع تحرير أنفسنا منه. وليس باستطاعتنا الحركة إلا بمقدار ما تسمح لنا به هذه الشبكة. أنت الوحيد يا عيسى، سمكة صغيرة، قادرة على الولوج في فتحات الطاروف من دون أن تعلق في خيوطه الشفافة. عيسى! أنت محظوظ. أنت حُر. افعل ما تريد))[21] في ظل سطوة الواقع تتنامى حدة الاغتراب ويتضاعف الإحساس بالعجز، فهاجس الطاروف أضحى واقعاً لا مناص منه، فالكل خاضعون له دائرون في فلكه، ومع استحالة النفاذ من شبكته تلك ويأس (خولة) وعجزها، تجد في (عيسى) الحل البديل القادر على التغيير، أو في أقل تقدير بإمكانه أن يخط لنفسه مساراً يختلف عن ذلك الذي خطّه وفرضه عليهم (الطاروف).

وقد يجد القارئ اغتراباً من نوع آخر قد تمثل في شخصية أخرى وهي شخصية (ميرلا)الحاضرة في الرواية نفسها ، فهذه الفتاة ترى في جسدها سبباً لحالة الاغتراب التي تعيشها: ((**ممشوقة القوام. طويلة نسبياً. بيضاء البشرة مائلة إلى الحمرة. شعرها بني متموّج. عيناها ملونتان، ما يجعلها مستيزا بامتياز، وإن كانت تكره هذه الصفة فيها. فملامحها الجميلة تذكرها بأبيها الأوروبي المجهول الذي بسببه تكره ملامحها وكل ما هو أوروبي بشكل فظيع**))[22] . تتزايد حدة عداء (ميرلا) لجسدها عندما يترسخ في وعيها احساس شديد بالاختلاف عن الآخرين، وهذا الأمر أضفى عليها مزيداً من الانعزال والانطواء، فماضي أمها هو المسبب الرئيس لحالة اغترابها، فعندما علمت بماضيها أصيبت بما يشبه فقدان الثقة بالآخر، فكرهت أهلها وكل الرجال الذين عرفتهم إلى درجة تقترب من النزعة الساديّة، تقول في إحدى رسائلها لـــ(عيسى/هوزيه): ((**هل تعلم أنني تغلبت على كل شيء إلا داخلي الذي أجهله، حاجتي لرجل أرفضه تخنقني. أريد ولا أريد، أثيرهم أتسلى بخضوعهم. أرتوي بعطشهم. أقرّب الكأس من شفاههم، يتحسسونها بأناملهم ولكنني لا أبلل شفاههم بقطرة من مائها، أشعر بنشوة لا مثيل لها وهم ينحنون يقبّلون قدميّ. ولا أرى في انحنائهم أمامي سوى دجاجات ضعيفة تبحث عن الديدان بين أصابع قدميّ. أمعن النظر فيهم. شعور بالرضى يملؤني ، رغم حاجتي للمزيد أكتفي بذلك**))[23] .

إن حالة العداء للجنس الآخر، مرجعه إلى تراكمات نفسية تولّدت بفعل حقدها على أبيها المجهول الذي زرعها بذرة في رحم أمها ورحل إلى بلاده، فشعور الرفض للآخر/الأب، يقابله قطيعة تامة للذات فـــ ((الذين لا يستطيعون الاضطلاع بتنوعهم الخاص، يجدون أنفسهم أحياناً بين أشد القتلة فتكاً، يهاجمون الذين يمثلون ذلك الجزء ، الذين يريدون طمسه من أنفسهم إنه "كره الذات"))[24] .

---

[21] ( ) ساق البامبو:108 .
[22] ( ) ساق البامبو: 108 .
[23] ( ) ساق البامبو:282 .
[24] ( ) الهويات القاتلة، أمين معلوف:122 .

إن ضياع الهوية وفقدان الذات أضفى عليها مزيداً من الاغتراب، وتتطور حالة الصراع والتنافر بين الذات/الجسد إلى درجة الميل إلى علاقات شاذة تسعى من ورائها إلى العثور على ذاتها المفقودة، فقد أعلنت ميلها إلى الجنس نفسه، إذ اعتقدت أن هذا الأمر سيكون الدافع الأساس لالتقائها مع ذاتها الضائعة: ((**اثنان وعشرون عاماً ولم أعثر فيها على نفسي. لا زلت ابحث عني ولم أجدني**)) [25] ، فهذا التخبط في السلوك والخروج عن المألوف في العلاقات الاجتماعية، هو وسيلة (ميرلا) في الانتقام من كل ما يحيط بها(الأم، الأب المجهول، المجتمع) الأمر الذي قيّد حركة الشخصية نفسياً واجتماعياً، ومن ثمّ ركونها نحو العزلة والقطيعة ، وغياب احساسها بجدوى الحياة، وهذا الغياب من وجهة نظر (ريتشارد شاخت) يشكّل ملمحاً بارزاً من ملامح الاغتراب[26] .

ويبقى الجسد عاملاً حاسماً من عوامل اضطراب المرأة في رواية (فئران أمي حصة)، إذ تعاني (حوراء) من اتساع الهوة بينها وبين جسدها بعد وفاة طفلها، إذ ينقل الراوي مأساة تلك المرأة: ((**لم تعد تسمح لزوجها اقتراباً. يطمئنها: "الله يعوضنا بغير". تنفجر في وجهه باكية. تنشب أظافرها في ثديها الأيمن تدميه. تصيح: "ما أبيه" اضطر فهد لإبقائها في مستشفى الطب النفسي إذعاناً لأوامر أطبائها، خوفاً عليها من نفسها**))[27] ، هذه المرأة ترى في جسدها عائقاً أمام احساسها بالراحة ، فرؤيتها لثديها يذكرها بطفلها الميت، وهذا عزّز من اضطرابها ، ومن ثم اتساع حدة الصراع والتنافر بين الذات/ الجسد، ولكن هذه الفجوة تتلاشى عندما يزول المسبب، إذ تصاب هذه المرأة بورم سرطاني في ثديها نفسه، فتشعر بالرضا لانتصارها الرمزي على هذا العضو من جسدها، وكأن حالتها الجسدية الجديدة أعادت تشكيل حالتها النفسية: ((**...سألت طبيبها عن احتمال البتر أجابها الطبيب آسفاً:"احتمال وارد" لم تمهله يبثها تفاؤلاً. قاطعته قبل أن يستطرد. تضمّ كفيها أسفل ذقنها تهزّ رأسها تبتسم بفرح لا يشبه اجابته:"مشكور. مشكور دكتور"**)) [28]. فالموقف الانفعالي للمرأة يتوافق مع احساسها بالألم ، فزوال مسبباته أضفى على الشخصية شعوراً تاماً بالرضا والتحرر، إذ بعد رفضها للإنجاب سابقاً، تبدي الآن رغبتها التامة بهذا الأمر، يقول الراوي:((حوراء **سعيدة، قال. وقد تحسّست صدرها بعد العملية الجراحية أخبرته بصوت منهك، بأنها مستعدة الآن للإنجاب**)) [29].

ويستمر الاغتراب كقوة ضاغطة على سلوك شخصية أخرى وهي (زينب) فهذه المرأة العراقية الأصل عاشت بعد غزو النظام العراقي السابق للكويت حياة ملؤها الخوف وانتظار المجهول، مما جعلها بين حياتين وتنشطر ذاتها بين الماضي/الأمان، والحاضر/الخوف. فرضوخها لمسببات الاغتراب تلك (الخوف والقلق) أوصلها إلى ما يشبه (رهاب الهوية والانتماء) -إن صحّ التعبير-وهذا الأمر صاحبها حتى بعد موتها: ((**قرأت**

---

[25]( ) ساق البامبو: 281 .
[26]( ) الاغتراب، ريتشارد شاخت:56 .
[27]( ) فئران أمي حصة، سعود السنعوسي: 363 .
[28]( ) المصدر نفسه: 385 .
[29]( ) ساق البامبو: 385 .

اعلان نعيها في صحف اليوم التالي. أرملة الحاج عبد النبي عباس محمد. لم يشفع لها لقب عائلة، كان عريقاً، بـذكر اسمهـا صراحة، لئلا تُكشف هويتها. ماتت من دون اسم)) [30] .

تعدّدت أشكال الاغتراب في روايات (سعود السنعوسي) باختلاف مسبباته وعوامل وجوده في النفس الإنسانية، إذ بدا في حقيقته ظاهرة استطاع الكاتب أن يجسّدها فنياً وإبداعياً، مؤطراً من خلاله ما تعانيه المرأة من ضياع وصراع بين الذات والمجتمع ، أو بين الذات وذاتها .

2-المرأة المستلبة:

ويطالعنا في روايات (سعود السنعوسي) انموذج آخر للشخصية النسوية، يتمثل بالمرأة المستلبة، تلك التي لا تمتلك زمام ارادتها، وتدور خارج فلك نفسها، تنقاد صاغرة لمن يوجه سلوكها وانفعالاتها، لا يصدر عنها أي موقف ورؤية.

إن الوعي الذي قد تعيشه المرأة ربما لا يمثل وعيها الحقيقي المرتبط بكيانها ويجسد تطلعاتها، فهو وعي قد عاشته منذ أن بدأت تعي نفسها كفرد ينتمي ضمن اطار جمعي يقوده حب التسلط والهيمنة . ان المرأة وضمن هذا الاطار ((لا تشارك في صنع هذا الوعي؛ انها شخصية تابعة بلا حرية أو وعي)) [31].

وسنحاول في هذا المحور من الدراسة الوقوف عند بعض النماذج المنتخبة من الشخصيات النسوية التي عانت الاستلاب ، فآثرت الركون والتقهقر. ففي رواية (ساق البامبو) تطلّ علينا (آيدا) الفتاة التي تنحدر من أسرة فقيرة، حملت همّ عائلتها ونزوات والدها المقامر: ((**فحين تحالف الجوع مع مرض والدتها والديون التي أثقلت كاهل والدها المقامر الذي أفنى ماله في تربية ديوك المصارعة ، لم يجد الأبوان بدّاً من تقديم ابنتهما البكر ، ذات السابعة عشرة آنذاك ، مجبرة ، إلى سمسار يوفر لها فرصة عمل في مراقص وحانات المنطقة، والنزول عند شرطه بأن يأخذ حصته، جسداً ونقداً من الفتاة في نهاية كل يوم عمل))** [32] .

يبدأ الاستلاب في فرض سطوته على (آيدا) بتحالف كيدي بين الجوع والمرض، فضلاً عن سلوكيات والدها، هذه الظروف التي أحاطت بها قد تدفعها _تحت سلطة قمعية أبوية_ إلى الانخراط في سياق عمل تفقد فيه شرط استقلالها الذاتي ، ويسلبها مكانتها الاجتماعية . ان خضوع المرأة لنظام مؤسساتي ذكوري قد يعرضها للاستلاب جسدياً [33] .

ويبدو أنّ عملية الاغتصاب الجمعي الذي تتعرض له المرأة في هذه الرواية، جعل من جسدها سلعة يتبارى تجار المتعة إلى شرائها ، فتسليع الجسد هنا أسس لحالة استلابها في اغتراب جديد عن إنسانية صاحبها، فيتحول الاستلاب إلى واقع حتمي لحياة (آيدا) ، وذلك عندما توحدّت مع الوجود المفروض عليها لتجد فيه تحقّقاً وتلبية . ان انخراط الذات وتماهيها مع ثقافة الاستلاب قد لا يكون انخراطاً وهمياً ، بقدر ما هو واقع تجده الذات مفروضاً عليها

---

[30] ( ) المصدر نفسه: 354 .

[31] ( ) الاغتراب في أدب حليم بركات، بسّام خليل فرنجية:213 .

[32] ( ) ساق البامبو:19 .

[33] ( ) ينظر: الحرية في أدب المرأة، عفيف فرّاج : 240 .

[34] ، وهذه التجربة ذات المنحى الموسوم بالاستلاب قد عاشته (آيدا): ((**أصبحت آيدا شيئاً يُباع ويشترى بثمن..ثمن بخس في الغالب وباهض فيما ندر، يتفاوت ثمنها نظراً لنوع الخدمة التي تقدمها. عملت صامتة حزينة، كارهة للمال والرجال...**)) [35].

وفي ظل تراكمات الاستلاب والانقياد للسلطة الذكورية ، يزداد إحساس الشخصية بالضياع وفقدان زمام أمرها، بعد أن أصبحت وسيلة لتحقيق مآرب مشوهة . كانت العزلة هي النتيجة الحتمية لاستلابها الروحي والجسدي؛ لأنّ تعرض المرأة للاهانة قد يدفعها الى البحث عن عوالم أخرى، أكثر أمناً وراحة، حتى لو كانت مؤقتة، لذلك فقد سارت في طريق الإدمان على المخدرات في محاولة للهروب من واقعها.

ونتيجة لتراكم اشكال الاستلاب لدى المرأة ، تتبلور روح المواجهة لديها فتثور على أسباب قمعها ومأساوية مصيرها، الى حد قد تشعر أن خلاصها من واقعها قد يكمن في وضع حدّ لمأساتها فتبين ذلك في النص الآتي : ((**أخفت أمر حملها عن الجميع إلا أختها الصغرى، أمي، بعد أن أدركت بأنه خلاصها الوحيد من عملها الذي وافقت عليه مجبرة**)) [36]، وفي أثناء ذلك تتصاعد حدة الصراع بين (آيدا) وسلطة الرجل / الرجل لنرى مشهداً قد تتساوى فيه سلطة المرأة مع الرجل كردة فعل انتجتها أزمة الاستلاب : ((**أشاهد آيدا تدفع والدي، تشتمه وهي تتلقى منه اللكمات والركلات، مجنونة آيدا. ومن كان يجرؤ**)) [37] ، وهو موقف نسوي قد يرمز الى رفض للسلطة الذكورية التي وجدت فيه المرأة تمادياً خطيراً لا يمكن القبول به : ((**أقسم أن أبي كاد أن يتبول في ثيابه أمام منظر آيدا**)) [38]، ولكي تحقق آيدا لذاتها فعلاً ثورياً شمولياً ينتشلها من سطوة الاستلاب ، كان لا بدّ لها من المواجهة ، وهذا ما حققته عندما: ((**انقضّت على الديوك الأربعة تنتزع رؤوسها عن أجسادها بيديها وتلقي بها باتجاه أبي الذي كاد يسقط مغشياً عليه. انتصبت آيدا واقفة في مواجهتنا. كفاها ملطختان بالدماء، توجه سبّابتها إلى أبي:**

_في المرة القادمة ..سوف يكون رأسك!))[39] . ربما يجسد هذا المشهد الدراماتيكي لحظة تحول وانعطافة في شخصية آيدا ، وهو مشهد تظهر فيه المرأة وقد تسلمت زمام السلطة ، فضلاً عن كونه مشهداً يفتقد فيه الرجل الى أبسط مقومات القدرة على المواجهة .

وعلى الرغم من ذلك لاتزال السلطة القمعية الأبوية تمارس دورها على المرأة وتقيد حريتها، فتتراءى في هذا الجانب (جوزافين) والدة (عيسى/هوزيه)، الفتاة الفلبينية التي أرغمها الواقع أن تسلك مساراً مختلفاً عما رسمه لها وعيها، يقول(عيسى/هوزيه) ناقلاً عن والدته ما وصلت إليه: ((**تقول والدتي:"لم أتخيل قط بأنني سأمل خادمة في يوم ما"**))[40]، فقد: ((**كانت فتاة حالمة، تطمح لأن تنهي دراستها لتعمل في وظيفة محترمة. لم تكن تشبه**

---

[34] ( ) ينظر: الانسان والبعد الواحد، هربرت ماركوز: 47 .
[35] ( ) ساق البامبو:20 .
[36] ( ) المصدر نفسه: 21 .
[37] ( ) المصدر نفسه:29 .
[38] ( ) المصدر نفسه:25 .
[39] ( ) ساق البامبو:26 .
[40] ( ) المصدر نفسه: 19 .

أفراد عائلتها في شيء))[41] ، يبدو أن هذا التميّز الذاتي الذي طرأ على سلوكها لم يصمد أمام رغبة السلطة القمعية، التي خطت لها طريقها الذي يجب أن تسلكه: ((**كفّي عن البكاء واستعدي للعمل كما خططت لك**))[42] ، فهذا الاختيار القسري الذي رسمه لها الأب هم نفسه الذي ارتضاه لأختها (آيدا)، الدعارة ومضاجعة الرجال للحصول على المال، وهذا ما رفضته، وآثرت السفر إلى الكويت لتعمل خادمة هناك، محرّرة نفسها من رغبة أبيها في التسلط والهيمنة.

وفي ظل سطوة الاستلاب النفسي وأثره الفاعل في بلورة كينونة المرأة والتحكم الفاعل في سلوكها، تصطدم المرأة باستلاب من نوع آخر، فبعد قدوم (جوزافين) إلى الكويت يتراكم في وعيها شعور باستلاب مختلف هذه المرة . انه استلاب المكان الذي سيقَت إليه، يصف (عيسى/هوزيه) معاناة والدته تلك: ((**جاءت والدتي إلى العمل هنا، تجهل كل شيء عن ثقافة هذا المكان. الناس هنا لا يشبهون الناس هناك، الوجوه والملامح واللغة، حتى النظرات لها معان أخرى تجهلها، الطبيعة هنا، لا تشبه الطبيعة هناك، وطلوع القمر في الليل، حتى الشمس، تقول والدتي: "شككت في بادئ الأمر أنها الشمس ذاتها التي أعرف"**))[43] ، هذه المقاربة السردية تكشف عن حيز الاستلاب الذي عانته (جوزافين) في هذا البلد الغريب فقد مارس هذا المكان ضغطاً داخلياً على جوزافين ، الى حد شعرت أنها في صراع بين ذاتها من جهة ، والمكان من جهة اخرى ، وهو صراع أسهم في خلق احساس بفقدان الأمن والاستقرار.

في هذا المكان تلاشى طموح المرأة في تحقيق ذاتها، فهناك حيث تنتمي هربت من أبيها، لتصطدم هنا بواقع فُرض عليها، وما بين طموحها وواقعها نشأ صِدام بين الحلم والواقع، لتتحول رؤيتها لعالمها الجديد إلى رؤية مأساوية كما يصفها (لوسيان غولدمان) [44] ، إذ إن وجودها في هذا المكان هو رغبة في تحقيق غايتين، اولاهما: التحرر من سلطة جائرة، وثانيهما: العثور على ذاتها المفقودة، ووفق هذا الأمر ترفض المكان من جهة، ولا ترغب بالعودة إلى بلادها من جهة أخرى، وهذا التناقض في الموقف والرؤية هو ما زاد من شعورها بالاستلاب .

ويبدو أن هذه المرأة لا تملك خيارها حتى في علاقاتها العاطفية، إذ نراها مستلبة الإرادة، عاجزة عن الاختيار، وهذا ما يتراءى في ارتباطها غير المتكافئ مع (راشد) الشاب المثقف الذي ينحدر من أصول عريقة في التاريخ والمكانة الاجتماعية، الأمر الذي وسم علاقته العاطفية الأولى بالفشل: ((**وقفت السيدة الكبيرة في وجه هذا الزواج، فالحب وحده لا يكفي لأن تقترن بفتاة أحلامك**))[45]

إن الوعي الانتقامي المهيمن على فكر (راشد) وسلوكه دفعه إلى محاولة الاستحواذ على جسد المرأة/جوزافين، كوجه من وجوه استلاب المشاعر والعواطف، ذلك الاستلاب الذي

---

[41] ( ) المصدر نفسه: 19 .
[42] ( ) المصدر نفسه: 23 .
[43] ( ) ساق البامبو: 29 .
[44] ( ) ينظر: البنيوية التركيبية، لوسيان غولدمان: 71 .
[45] ( ) ساق البامبو:36 .

يمثل صورة للمعاناة الإنسانية، يقول (عيسى/هوزيه) ناقلاً عن والدته رغبة أبيه في هذا الجانب: ((**كان والدي يلمّح إلى شيء ما، لم يحاول صراحة ولكنه تلميحاً فعل. لم تخبرني أمي بتفاصيل مجنونة كتلك، ولكن لابد أنه كان واضحاً في رغبته عندما أجابته قاطعة: "سيدي تركت بلادي هرباً من أمور كهذه!" ...صرامة أمي في هذا الأمر تلاشت حين سألها: "نتزوج". لابد أنها سعدت بذلك لتوافق على هذا الزواج الذي لا يشبه الزواج**))[46] ، هنا يتحقق فعل الاستلاب كنتيجة حتمية لهشاشة الوعي الفردي للشخصية الذي يؤسس لرؤية أكثر هشاشةً تجعل من الجسد المعبّر الحقيقي عن كينونة المرأة ووجودها، وهذا الاضطراب في الوعي والرؤية أوقعها في دائرة الاستلاب، وهي حالة تعيشها الشخصية المستلبة التي يداهمها احساس قوي بفقدانها لكل شيء وعلى نحو تراجيدي[47] .

3_ المرأة المحبطة:

تعدّ المرأة المحبطة صورة من صور الهم الإنساني الأخرى التي حفل بها النتاج الروائي ل(سعود السنعوسي)، تلك المرأة التي كان للواقع الاجتماعي الدور الأساس في تكوينها وظهورها على الساحة الإنسانية تحاول هذه المرأة جاهدة تحقيق ما تصبو إليه، إلا أنها سرعان ما تخفق وترتدّ إلى ذاتها مرة أخرى مصطدمة بصخرة الواقع التي هي نتاج حتمي لطبيعة مجتمع يعيش تناقضات عدة وسلطات متنوعة ، لذلك فالإحباط وفق مفاهيم علم النفس: ((هو ذلك الظرف الذي يُمنعُ فيه على الشخصية اشباع مطلب نزوي. وهو يشمل كل عقبة_خارجية أو داخلية_ تحول دون الاشباع اللبيدي))[48] ، لذلك فالهروب من الواقع هو السمة المميزة للشخصية المحبطة، وهذا الهروب لا يزيده إلا عزلة وشعوراً حاداً بالحزن والكآبة، ووفق هذا المفهوم تتجسد لنا صورة المرأة التي تعاني الإحباط، ويتملكها اليأس وانعدام القدرة على مواجهة مصيرها الذي فُرض عليها.

ففي رواية (ساق البامبو) تعمد (هند الطاروف) إلى الهروب من ذاتها لتواجه احباطها، فتدخل في صراع بين الواقع والذات، في محاولة يائسة للتغلب على مسبباته، أحبّت (غسان) لكن ذلك الحب لم يستمر ولن ينجح، لعجزه عن التكيّف مع التقاليد السائدة، يقول (عيسى/هوزيه) ناقلاً تلك المأساة: ((**تقدم غسان لخطبة عمتي هند." أنت ولدنا ونكنّ لك كل التقدير ولكن..في مسألة الزواج ..نسأل الله أن يرزقك بفتاة أفضل منها" ، كان هذا رد ماما غنيمة. خولة تتفهم رفض جدتي لغسان، فهي لا تريد لأحفادها أن يكونوا "بدون"[49] مثل أبيهم، يرفضهم الناس والقانون**))[50] . وتشكّل مسببات هذا الصراع احباطاً مؤدياً إلى اقتناع المرأة باستحالة تحقق التوافق بينهما وبين الواقع/المجتمع، ومن ثمّ شعورها بالعجز وعدم القدرة على تحقيق الذات في ظل هذا الواقع الذي يرفض اكتمال هذا الترابط الجسدي

---

[46]( ) ساق البامبو:38 .

[47]( ) صورة الشخصية المستلبة في رواية (الثائر)، علي أحمد عبدة: 15 .

[48]( ) معجم مصطلحات التحليل النفسي، جان بلانش: 46 .

((لفظ Libido تم تعريفه بواسطة فرويد على أنه القوة التي يتم بها تمثيل الغريزة الجنسية في العقل.. وتبعاً لمفهوم فرويد، فإن اللبيدو لا يقتصر على الجنس بل يتعداه إلى مجالات أكبر مثل اللذة عموماً))، معجم مصطلحات الطب النفسي، إعداد: د. لطفي الشربيني: 99.

[49]( ) البدون: فئة سكانية تعيش في الكويت، لا تحمل الجنسية الكويتية ولا جنسية غيرها من الدول.

[50]( ) ساق البامبو:289 .

والروحي بينها وبين (غسان) ، ومن ثم أفرز هذا العجز رغبةً لدى هند في العمل في مجال حقوق الانسان وهو مجال اتخذت منه هند وسيلة لتفكيك حالة الاحباط ولو على صعيد الوعي الذاتي فحسب : ((**ولكن ما لا يعرفه أحد هو أنها ما كانت تدافع عن شيء سوى حب لم يُكتب له البقاء طويلاً مع أحد أولئك الذين كرست حياتها للدفاع عن قضيتهم التي أصبحت قضيتها**))[51] .

ومع ايمان (غسان) التام بصعوبة تحقق ذلك الترابط ، فقد آثر مرغماً إلى الاقصاء والعزلة. إنها شخصية تعاني استلاب الهوية، وهي ظاهرة إنسانية عامة تعبّر بالدرجة الأساس عن منطقة العتمة في الذات الإنسانية[52] . وما دام المجتمع لا يرغب به ويقصيه خارج اطار الجمعي، فلا سبيل أمامه إلا أن يرتد إلى ذاته وينصهر داخلها، وهو الذي حارب من أجل وطنه الذي لفظه وتركه من غير هوية، وأصبح أبرز ما يميزه هو ((**ذلك الحزن الذي على وجهه بسبب صفة لصيقة به لم يستطع أن يتخلص منها. هو بدون ، أكره هذه التسمية التي لا أفهمها رغم ترجمة غسان لها، هو بلا جنسية، خُلق هكذا..**))[53].

ونتيجة لهذه المعوقات أضحى الحب في نظر(هند) تجربة هامشية لا تزال تمرّ بمخاض وجودي عسير لا أمل في ولادته وتكوينه ، فتقرّر ألا تتزوج من أي رجل كردٍّ انتقامي على فكر تسلطي قبلي، رافضة بذلك ما يفرضه عليها الواقع، ومن أجل أن تحقّق المزيد من التوازن الداخلي تحاول أن تتبنى في عملها قضية الدفاع عن حقوق المظلومين والمهمشين . إن اكتشافها لأسباب احباطها ومصادره وضعها أمام مواجهة كبرى بدت في بدايتها عاجزة عن التغيير، ولكن وقوفها على مسبباته جنّبها الوقوع خارج الفعل ودفعها إلى المشاركة في الحياة . ومن الملاحظ أن موقف هند الايجابي هنا قد يذكرنا بردة فعل آيدا حينما انتفضت بوجه السلطة الذكورية المتمثلة بالأب ، وهذا ما يتيح لنا القول بأن المرأة في روايات السنعوسي قد تمتلك أشكال القوة والقدرة على المواجهة في مواقف خاصة ، وقد يُراد من هذه المواقف الاشارة الى أن المرأة ليست كائناً مقهوراً على نهو مطلق ، وأنها قد تمتلك القدرة على تجاوز أزماتها .

قد يرافق الإحباط (فوزية) في رواية (فئران أمي حصة)، تلك الفتاة التي تبدو ولأول وهلة فاقدة لشيء ما وأول مسببات احباطها وفاة والدها، وما قاده هذا الفقد من نتائج سلبية في تكوينها النفسي والوجداني . تقول أمها (حصة) ناقلة معاناة ابنتها: ((**عند موت أبيها في تفجيرات المقاهي الشعبية قبل خمسة أعوام، كيف بكت كثيراً، حتى أنني لقاء بكائها لم أقو على البكاء، لم أبكِ أبا صالح كما فعلت فوزية، بنت أبوها كما كان يسميها رحمه الله، بكيتها حينما نقلناها إلى المستشفى مهدودة الحيل أغمي عليها**))[54] ، وهكذا قد يسهم اليتم في انتاج تجربة الاحباط ، وهذا ما حدث مع فوزية التي كانت ردة فعلها تجاهه بدت سلبية . وتتبلور معاناة (فوزية) بما ينقله الراوي عن طريق الاسترجاع على لسان أمها: ((**"شرعت تستعيد كلام طبيب ابنتها بعد فقدان أبي صالح، ارتفاع حاد مفاجئ في مستوى السكر، حالة**

---

[51]( ) ساق البامبو: 290 .
[52]( ) ينظر: الهوية المنسجمة والهوية المتشظية في نص "سيمُرغ" لمحمد ديب، عزيز نعمان: 198 .
[53]( ) ساق البامبو: 192 .
[54]( ) فئران أمي حصة : 195 .

عرضية، بسبب أزمة نفسية. لا يخفي الطبيب قلقه إزاء احتمال تطور الأزمة العابرة إلى مرض دائم"))[55] .

تبدأ أزمة المرأة بالتكوّن لتشكل قوة ضاغطة سلبية على وعيها بما يُشعرها بالمزيد من الإحباط، فموت الأب ، الذي كان بالنسبة لها قوة إيجابية ، قد نقلها من دائرة واسعة إلى دائرة ضيقة لا تقوى على كسرها أو اختراقها ، ثم ان انتقال السلطة المطلقة إلى الأخ زاد من معاناتها وشعورها الحاد بعبثية الآتي الذي ينتظرها: ((**صالح رجل البيت، في البيت وحسب، رجل على شقيقته، قليلة الحظ، المريضة يتيمة الأب**))[56]، وبفعل السلطة التي يمتلكها يمارس دوره الذكوري المتسلط، منتزعاً من أخته حلم حياتها: ((**كان حلم شقيقته أن تتخرج من الجامعة بمعدل عال، كي تحظى بمصافحة أمير البلاد الذي يرعى حفل التخرج كل سنة، إلا أن شيئاً من أحلامها لم يتحقق بسبب عناد شقيقها صالح، وبسبب ما حلّ بها لاحقاً. أمي حصة ذاتها لم تستطع أن تثني ابنها عن قراره حين اتخذه قاطعاً "مكانها البيت" في حين لم يمنع زوجته خالتي عائشة، عن العمل في التدريس مبرراً بأن عملها في مدرسة بنات غير مختلطة**))[57] .

ان ضياع حلمها واصطدامها بعناد سلطة ذكورية مستبدة، وسّع من دائرة الإحباط عندها، وجعل المواجهة مع السلطة غير مجدية فلا سبيل أمامها إلا العزلة والارتداد على الذات: ((**تلعن أيامها التي دفعتها لأن تكون في السابعة عشرة من عمرها، امرأة تقيدها سلطة شقيق أكبر يرى في كل شيء تفعله نقيصة**))[58] .

والذي يتأمل هذا النص يجد أن حالة التقاطع الماثلة في علاقة فوزية مع شقيقها قد بلغت مدياتها القصوى ، حتى صار الاثنان على طرفي نقيض يفتقد الى أبسط حالات الالتقاء ، وهذا ما تنقله خاتمة النص السابق الذي أكد أن شقيقها ((يرى في كل شيء تفعله نقيصة)) . ان تمادي التسلط على نحو متشدد على الذات قد يدفع بها الى حالة من الخنوع ، بل والتلذذ بهذه السلطة[59] . وهذا الامر قد دفع ب (فوزية) الى الانقياد التام لفعله والتماهي غير المحدود مع سلوكه ، لذلك نراها خاضعة منقادة لما فعله بها عندما قام بحلق شعرها كله عندما خشي عليها من الاعتقال: ((**فوزية رغم ما فعله بها يوم أمس لم تقاوم**))[60] .

وتكتمل دائرة الإحباط بفقدانها لبصرها، لتعلن بذلك هزيمتها الحتمية . يقول الراوي: ((**لم تفهم ما قاله طبيب فوزية. بسبب مرض السكري. بسبب اهمال العلاج. تهتّك الأوعية الدموية. تلف الشبكية. الذي فهمته وحسب؛ إن فوزية عميت. "قليلة الحظ" تذكرت قول أمك حصة. لم تفكر كيف تستأنف فوزية حياتها في الظلام**))[61] . وهكذا عاشت هذه المرأة عزلتين (مادية ومعنوية) فاكتملت بذلك لوحة بؤسها وحرمانها، وقد بلغ الإحباط ذروته عندما تيقنت أنها لم تكن مبصرة من قبل إذعاناً منها لمسببات قهرها، وايمانها باستحالة

---

[55] ( ) المصدر نفسه: 196 .
[56] ( ) فئران أمي حصة: 195 .
[57] ( ) المصدر نفسه: 45 .
[58] ( ) المصدر نفسه: 142 .
([59]) ينظر طبقات الرقابة في الثقافة العربية : محسن بو عزيزي ، 39
[60] ( ) فئران أمي حصة: 196 . .
[61] ( ) فئران أمي حصة: 239-240 .

الخروج من بوتقة وحدتها ومعاناتها، فآثرت الانصهار التام مع واقعها الجديد: ((**تشيح بوجهها بعيداً. تطأطئ :"لم أكن مبصرة في حياتي"**))[62] .

لم تكن المرأة المحبطة في نتاج الكاتب الروائي إلا نتيجة حتمية لواقع كان للمجتمع الأثر الاكبر في ظهورها وهذا أمر طبيعي لسلوك الذات ، ذلك أن وعي الفرد يترشح من حالة الوسط الاجتماعي . ان المرأة المحبطة الرغم من تمسّكها بخيوط الأمل الواهنة، فإنها سرعان ما تتركها مرغمة، فاقدة أي إحساس بالجدوى أو الخلاص . لقد تنوعت أنماط المرأة في روايات السنعوسي ، ولكنها مع هذا التنوع لم تخرج عن اطار كونها فرداً يعيش على هامش التجربة الانسانية ، ويفتقد للانتماء الحقيقي لها . ويمكن القول كذلك ان تنوع أنماط المرأة هنا قد يشير تعدد أنماط الدور الذي يمكن أن يلعبه كل نمط منها داخل المؤسسة الاجتماعية . فاذا كانت المرأة المغتربة ليست الا فرداص أنثوياً يعيش حالة اغتراب وشعور بعدم الانتماء ، فان المرأة المستلبة قد يكون لديها وعي كاف بما يدور حولها ، وربما يكون لديها محاولات لتغيير واقعها غير أنها لا تملك القوة على تحقيق ذلك ، أما المرأة المحبطة فربما هي الحلقة الأضعف من بين الحلقات الأخرى ، وذلك لأن الشعور بالاحباط قد يُنهي أي محاولة يمكن أن يقوم بها الفرد ، وهذا ما ينعكس سلباً على تجربتها ، ويُضعف كثيراً من أثرها داخل المنظومة الاجتماعية .

المبحث الثاني: المرأة واشكالية العلاقة مع الرجل:

ارتأينا في هذا المبحث أن نتناول علاقة المرأة بالرجل، وما يكتنفها من جدل وصراع، وتشخيص أبرز إشكاليات تلك العلاقة، فهي _في هذا النتاج الروائي_ تتجلى لنا أنموذجاً إنسانياً مملوءاً بمشاعر الخيبة والحرمان والاضطهاد، تحاول جاهدة بناء ذاتها وتحقيق استقلاليتها المستَلَبة وحريتها المقيّدة، ولكنها دائماً تصطدم بسلطة الآخر(الرجل) الذي يدفعها إلى التقهقر نحو ذاتها، فتركن إلى عزلة قاتلة، وهامش سلبها إنسانيتها ووجودها. ان المرأة في ظل واقع اجتماعي يفتقد الى الانفتاح قد تصبح ((أكثر العناصر الاجتماعية تعرضاً للتبخيس في قيمتها على جميع الأصعدة، الجنس، الجسد، الفكر، الإنتاج، المكانة))[63].

أما فيما يتعلق بالرجل فقد تنوعت أشكاله وأنماطه في النتاج الإبداعي ل(سعود السنعوسي)، تبعاً لأدواره ووظائفه في الحياة الاجتماعية، وكذلك وفقاً للسلطة التي يمارسها على المرأة وأدواره التي تتوزّع بين الأب والابن والأخ والحبيب، وهذه العلاقات هي السائدة في المنظومة الاجتماعية والإنسانية، ونشير إلى أمر جوهري آخر، هو أن الرجل ليس هو من يقوم بممارسة القمع والتسلط ضد المرأة وحسب؛ بل قد تختلف تلك الثوابت لتصبح المرأة هي الأكثر هيمنة وتمكناً ، وذلك في محاولة منها لمصادرة السلطة الذكورية وقلب المعادلة لصالحها .

تتجلى إشكالية العلاقة بين (مريم) و(عبد العزيز) في رواية (سجين المرايا) في نمطيتها وتباين وقعها العاطفي والوجداني بين الاثنين، ف(عبد العزيز) الباحث عن حب حقيقي في خضمّ حياته الموسومة بعدم الجدوى والضياع ، حب ينتشله من الفراغ الذي يؤطر حياته

[62] ( ) المصدر نفسه: 409 .
[63] ( ) التخلف الاجتماعي، مصطفى حجازي:199 .

التي يسودها النمطية والتكرار: ((**كنت هائماً في الحب. كنت عاشقاً بعشق لا أحد. كان الحب في أعماقي كبيراً..في انتظار الساكنة الأولى التي سأهبها كل ما في هذا القلب**))[64] .

لم تكن (مريم) ترغب بمثل تلك العلاقة، كان الصمت يطغى على كل لقاء يجمع بينهما: ((**استمر الصمت إلى أن عاد كل منهما إلى منزله**))[65] ، فهذا الصمت هو محصّلة لحالة الضياع والاضطراب لواقع الأنا الفردي ل(عبد العزيز) التي تولّدت بفعل غياب مؤثر في حياته والمتمثل بفقدانه لوالديه . ان طبيعة العلاقة التي تربط بينهما وعلى وفق هذا الاضطراب أخذت تسير في منحى آخر، فإخفاقه في بلورة رؤية توافقية للحب قد عرّى علاقتهما من دلالتها الفاعلة: ((**كرهتني في تلك الأثناء، أعرف ذلك، فقد خيّبت آمالك بانشغالي بجولييت وروميو وانصرافي عن جولييت عبد العزيز.**
أعرف أني سقطت من جبال عينيك الشاهقة ليستقر حطام رجولتي في أسفل الوادي قرب قدميك))[66]

لم يكن الارتباط بينهما سوى تقارب عاطفي طارئ بدأ صدفة وانتهى كذلك، فكلاهما يبحث عن حب يملأ به فراغاً تشكّل بفعل قسري خارج حدود الذات الفاعلة، تقول (مريم) في رسالتها الأخيرة: ((**أنا لا أستحق كل هذا الحب الذي يفوق حب والديّ لي، ذلك الحب وتلك العواطف التي لم تستمر طويلاً بعد أن منحا كل شيء لأخوتي الثلاث، لآتي في وقت متأخر أبحث عن بقية اهتمام ولا أحصل سوى على جزء صغير، بعد أن كبرت الهوة بيني وبين والديّ وأخوتي. أكبر ويكبرون هم، وتكبر المسافة بيننا**))[67] .

إن حيازة المرأة لهذا الصوت السردي يتناسب دلالياً مع الوضع الهامشي الذي يحكم عليها بالإقصاء، وهي من خلال هذا الموقع السردي تعود لتستنطق الثقافة الأبوية وسلطتها التعسفية وتعريتها من قشرتها الزائفة . ان رؤية مريم ازاء السلطة التي يسلكها الأب قد تكون انعكاساً لرؤية المرأة العربية ازاءأشكال التسلط التي يمارسها المجتمع الشرقي على الصعيد الاجتماعي والسياسي والانساني بعامة ، لذلك قد يضطر صوت المرأة فيبعض الروايات الى أن يحكي ((من موقع مضاعف، يمتزج فيه التخيلي بالاجتماعي ، والذاتي بالعام والشخصي بالسياسي))[68] .

وفي المضمون نفسه القائم على دراسة أشكال العلاقة بين المرأة والحبيب، تتراءى لنا (هند) وتأزم علاقتها مع (غسان) في رواية (ساق البامبو)، فالإخفاق الذي رسم عبثية التقارب العاطفي بينهما قديكون مردّه إلى عدم التوافق على الصعيدين: الاجتماعي والاقتصادي، فـ (غسان) بهويته المستَلَبة ودونيته التي لم يقوَ يوماً على الانتصار عليها: ((**البدون يا عيسى جينة مشوهة. تتعطل بعض الجينات الخبيثة، فإنها لا تخطيء أبداً، تنتقل من جيل إلى آخر محطمة آمال حامليها**))[69]، بينما (هند) سليلة عائلة عريقة، فلا سبيل

---

[64] ( ) سجين المرايا: 21 .
[65] ( ) سجين المرايا:59 .
[66] ( ) المصدر نفسه: 81 .
[67] ( ) المصدر نفسه:206 .
[68] ( ) تمثلات الهوية النسوية في روايات (دنيا) محمد بو عزة: 30 .
[69] ( ) ساق البامبو: 228 .

لتحقيق التقارب بينهما، وهذا الإحساس البديهي للرفض لدى (غسان) صنعه مجتمع يتحكم في وعي الشخصية ، مما جعلها تتجه آنياً إلى الانحسار، فلا مجال لإبراز الذات ما دام الشعور الجمعي يحكم قبضته على الوعي الفردي ، ويسلبه امكانية قراءة الواقع انطلاقاً من قناعة ذاتية بعيدة عن التأثيرات الخارجية .

في سياق هذا الجدل الناتج عن التوتر بين المرأة والمجتمع، وبين ثقافة سلطوية تقمع الآخر، تتشكّل معالم العلاقة بين (هند وغسان) المتأرجحة بين الحب والخنوع، ف(المرأة)التي أحبت الآخر كانت تطمح أن يتحقق الارتباط العاطفي بينهما، إلا أن ذلك الارتباط يتحول إلى عجز ورفض تام للواقع بعد أن حقق هذا الرفض المتمثل بـ (غنيمة) انفصالاً حتمياً: ((**خرج غسان من بيت جدتي لينصرف إلى عالمه، في حين سقطت عمتي في هوة من الفراغ**))[70].

وفي الرواية نفسها يمارس الرجل سلطته على المرأة، وهذه المرة بلا تخطيط مسبق، فالرجل أوجد ابنته في هذا العالم بعلاقة جنسية عابرة مع أمها، ومن هنا بدأت إشكالية العلاقة بالتشكل والظهور، ف(ميرلا) الابنة غير الشرعية مجهولة الأب، أخذت تناصب كل الرجال مشاعر العداء والكراهية، فأبوها تركها وديعة في أحشاء أمها ورحل إلى بلده الأوربي، فما أن تنظر إلى وجهها حتى تتذكر قباحة فعل الأب الذي جاء بها إلى العالم حاملة ملامح وجهه ولون عينيه، تقول: ((**ولكنني لا أنظر في هذا الجمال سوى علامة تميزني عمن حولي وتذكرني بماضي أمي وظروف ولادتي لديكِ أوروبي حقير، وجدتني أعوض نقصي بحب الفلبين وكأنني أمحو بهذا الحب آثاراً تركها والدي الأوروبي على وجهي**))[71] ، إن علاقتها مع الآخر الذي تشاركه ملامحها الخارجية شكّل أبرز ملامح التحدي والاشكال، وهو التهديد الماثل دوماً أمام وعي الشخصية، ولهذا فهي تحاول اثبات ذاتها واختلافها عن ذلك الآخر عبر نفيه وتغييبه؛ لأن في وجوده تذكيراً بمعاناتها التي تحاول جاهدة تهميشها أو الغائها.

ويحتدم الصراع بينهما من أجل إعادة تشكيل هويتها عبر تحقيق رغبة تتجاذبها مشاعر متناقضة (الكراهية/الحب، الانفصال/الاتصال)، ف(ميرلا) التي كرهت والدها المجهول أحبّت في الجانب الآخر بلدها (الفلبين)، الذي رأت فيه تعويضاً عن ذلك الأب الذي لم يترك لها ما تتذكره منه سوى شكلاً خارجياً، ولعل هذه العاطفة هي وسيلة المرأة الوحيدة للولوج من خلالها إلى عالم أكثر توازناً ، وبهذا الصراع تحيا بين عالمين، الأول: عالم الأب المجهول الذي تركها ورحل، والثاني: الوطن، ملاذها الآمن الذي وُجد كقوة فاعلة إيجابية تمدّها بطاقة تلهمها القدرة على المواجهة والتحدي .

لقد أورث كرهها لأبيها بغضاً وحقداً على جميع الرجال، تقول ل(عيسى/هوزيه) بعد أن شعرت بميله إليها: ((**لو لم تكن رجلاً..**))[72]، لهذا لجأت إلى علاقة بديلة عن العلاقات السوية، متخذة من جنس المرأة وسيلة تعوضها عن الجنس الآخر الذي يمثله ذلك الأب، يقول (عيسى/هوزيه) عن حقيقة علاقتها مع (ماريا): ((**كانت تزور بيتنا في كثير من الأحيان، تقضي وقتاً طويلاً بصحبة ميرلا في غرفتها**))[73] . ان العلاقة المشبوهة التي

[70] ( ) المصدر نفسه: 289 .
[71] ( ) ساق البامبو: 281 .
[72] ( ) المصدر نفسه:117 .
[73] ( ) المصدر نفسه: 125 .

مارستها (ميرلا) مع (ماريا) هو هروب من الواقع الذي تعيشه، ورفض قطعي لجنس الرجال . يرى (جرمين غرير) ان هذا النوع من العلاقات بين النساء إنما هو لإيجاد حل بديل للعلاقات التقليدية بين الرجل والمرأة[74]، تمارسه كتعويض عن الرتابة والنمطية . ان نزوع المرأة الى مثل هذه العلاقة وتحت وطأة الضغط الاجتماعي الذي تحياه قد يكون محاولة لتبتعد بها تماماً عن المستوى الإنساني السوي، لأنها تعيش أصلاً دون هذا المستوى[75] .

وقد تؤطر العلاقة بين الأم والابن شكلاً آخر من أشكال العلاقات الاجتماعية المأزومة بين المرأة والرجل ، وعلى نحو معاكس هذه المرة التي تمارس فيه المرأة دور الرجل وسلطته وهذا ما ينقله الموقف السردي لحقيقة الوعي الإنساني الذي تحياه المرأة متمثلة ب(غنيمة)، كاشفاً عن حالة التسلط والتغييب والسطوة المطلقة التي مارستها تلك المرأة ضد ولدها(راشد) ومن بعده حفيدها (عيسى/هوزيه).

فـ (راشد) هو الرجل الوحيد لعائلة الطاروف ، وهو وحده القادر على حمل اسم العائلة: ((**كانت والدته تعامله معاملة خاصة، فهو كما تقول، رجل البيت الوحيد**))[76] ، فخصوصية هذا التعامل نابع من طبيعة العلاقة التي تربط الأم بولدها الوحيد من جهة، والترابط اللامحدود بين هذا التعامل الفردي والموقف الاجتماعي العام من جهة أخرى، فالأم تسعى لتأهيل الابن الوحيد ليكون الوارث الشرعي لعائلة الطاروف، وهذا يعني أن المنظومة الاجتماعية كلها تقف وراء هذا التتويج، الذي هو بمثابة فعل فردي لتحقيق غاية اجتماعية ترتبط برؤية شاملة قائمة على الانقياد التام لعادات المجتمع وأعرافه، لذلك فلا عجب أن لا يملك (راشد) أي خيار في حياته، فالفعل الذي يمارسه انما هو مرهون برغبة الآخرين، ولا إرادة له في إحداث أي تغيير أو ممارسة، وهذا ما تنقله (جوزافين) لولدها (عيسى/هوزيه): ((**فالقرار : "لم يكن في يد أبيك، لأن مجتمعاً بأكمله يقف وراءه"**))[77].

وفي سياق هذا التوافق القسري بين الفردي والجمعي، ودورهما في تشكيل الهوية الفردية ل(راشد) على وفق رؤية الأم والمجتمع، تتبلور ردة فعل رافضة لهذا النهج التسلطي، إذ لجأ إلى فعل انتقامي يخرجه من بوتقة الهيمنة القمعية، فبعد الرفض القطعي للأم في تحقيق الترابط بين ولدها والفتاة التي أحبّ: ((**جعل السيدة الكبيرة ترفض فكرة هذا الزواج لمجرد معرفتها بالاسم الأخير للفتاة**))[78] ، وجد (راشد) نفسه أمام تجاذبات نفسية شديدة، قد لا تمتّ بصلة إلى الفعل الجماعي الذي خطه له المجتمع، أو الفعل الفردي الذي فرضته الأم، فلجأ إلى الارتباط العاطفي بالخادمة (جوزافين) كوسيلة لمواجهة التسلط المفروض عليه، لكن هذا الارتباط لم يكن مقنعا للخادمة، فقد بادرها الشك في كينونة هذا الزواج ودوافعه: ((**لم أكن مقتنعة بأننا قد أصبحنا زوجين بالفعل ولكنني وبسبب هذا الشعور الذي أحمله تجاه أبيك، سلمت بالأمر**))[79] .

وفي سياق تشخيص السرد لتنامي حالة التباين السلوكي بين صورة الرجل والمرأة يعرّي السرد هيمنة الذكر مقابل تشييده لنمطية التسلط الأنثوي، بوصفها تلك الهوية التي تستمد شرعيتها من سلطة أعلى متمثلة بالمجتمع، لذلك فهي كانت على استعداد للتخلي عن بعض

---

[74]( ) ينظر: المرأة المدجنة، جرمين غرير: 270 .
[75]( ) ينظر: أزمة الجنس في القصة العربية، د. غالي شكري: 243 .
[76]( ) ساق البامبو: 33 .
[77]( ) المصدر نفسه: 77 .
[78]( ) ساق البامبو: 37 .
[79]( ) المصدر نفسه: 39 .

مواقفها، عندما علمت بزواجه من الخادمة: ((**فتاة الجامعة..تلك التي..أخطبها لك.. يوم غد لو أحببت**))[80] ، فالفعل الذي قام به لا يمسّه وحده، بل تمثل حالة انتهاك للنظام الأسري الذي سعى دائماً للحفاظ على نسيجه وبنيته: ((**هذه مصيبة..هذه فضيحة..أشارت بسبابتها نحو عماتي عند الباب:**
اخواتك يا أناني! يا حقير! من سيتزوجهن بعد فعلتك))[81] .

ان ارتباط الأم بمرجعية المجتمع وسلطته خلق لديها ردة فعل تتناسب مع حجم الفعل الذي أقدم عليه راشد ، وهي ردة فعل معادلة في قوتها للفعل نفسه، أو متفوقة عليه، فلجأت الأم إلى الطرد والنفي كسلوك جزائي متّبع في العرف القبلي، فخير وسيلة للدفاع عن قيم القبيلة ومكانتها الاجتماعية بين القبائل الأخرى أن تلجأ إلى هذا السلوك عندما يخرج أحد أبنائها عن تلك الأعراف، وهذا ما فعلته السلطة: ((_ **أخرج من بيتي .. خذ هذه السافلة.. وكتب المجانين التي أفسدت عقلك**))[82].

إن تشظي الشخصية بين قانوني (السلطة/الرغبة) جعلها تحيا في حالة تخبط مضاعف : انفصال عاطفي عن الأم، يقابله اتصال بالزوجة ، وهذا ما فرض عليه وضعاً داخليا مأزوما ، الأول تمثله السلطة/الأم ، والآخر محكوم بالرغبة/ راشد ، وفي ظل هذين المسارين يختار (راشد) ثانيهما في محاولة لكسر نمطية التبعية للسلطة، ولكنه سرعان ما يعود إلى فضاء الهيمنة مرة أخرى: ((**اقذف بهما خارجاً وانظر كيف ستحل البركة عليك..ومن ثمّ عد إلى بيتك وستجدني، بقلب الأم أغفر لك ذنبك العظيم**))[83] ، وهكذا يتخلى (راشد) عن عامل الرغبة مقابل عودته كارهاً إلى واقع تسلطي لا يمتلك أسباب مواجهته؛ لأن الوقوف بوجهه يعني الخروج عن منظومة ثقافية واجتماعية مهيمنة، محكومة دائمة بعلاقات القوة، فرغبته في تحقيق موقع ذكوري في حيز محيطه العائلي يتلاشى سريعاً أمام قوة قمعية أكبر تتمثل بسلطة الأم .

ويمتد النسق القمعي الذي فرضته السلطة/المرأة، على ولدها (راشد) ليرسم معالم معاناة حفيدها (عيسى/هوزيه) ، فالموقف الرافض لحالة الارتباط العاطفي بين ولدها والخادمة توسّع كثيراً عندما شاهدت حفيدها لأول مرة، ليتجلى لنا حجم الهوة التي تشكّلت بين الاثنين، وتعاظم التوتر العلائقي الذي وسم هذا الارتباط . فـ (عيسى/هوزيه) بوصفه ثمرة ذلك الترابط غير المتكافيء من وجهة نظر الأم_ اجتماعياً واقتصادياً_ كان يمثل رمزاً لانهزام السلطة الاجتماعية ، لذلك فقد امتنعت أن يحيا ذلك الطفل مع أمه في الكويت، وأصرت على ضرورة أن يرحلا إلى أرض أمه حيث ينتمي، يقول (عيسى/هوزيه): ((**...وبعد أيام كان الرحيل الثاني، ولكن، هذه المرة..كان رحيلاً من بلد والدي إلى بلد والدتي**))[84].

ويبدو أن استراتيجية الرفض للآخر ما زالت هي المتحكّم الأساس والمؤثر في فعل المرأة وموقفها من الرجل، ويشتدّ هذا الرفض عندما يتجاوز الوعي الفردي ليصبح رؤية جماعية شاملة تجرّد الآخر من إنسانيته، فرغبة (عيسى/هوزيه) في تحقيق اتصال عاطفي مع أسرته بعد عودته من الكويت، اصطدم بممانعة خارجية/اجتماعية، وداخلية/عائلية، وهذه الممانعة حتماً لا تصبّ في خدمته؛ لأن سمعة العائلة_ التي هي جزء فاعل من المجتمع_ لابدّ أن تكون لها الأولوية القصوى في الفعل والسلوك، لذلك فقد كان ردّ فعل الجدة (غنيمة) متوافقاً

[80] ( ) المصدر نفسه: 44 .
[81] ( ) المصدر نفسه: 44 .
[82] ( ) ساق البامبو: 44 .
[83] ( ) المصدر نفسه: 51 .
[84] ( ) المصدر نفسه:51 .

مـع النسـق الثقـافي المهـيمن للمجتمـع، وموقفهـا مـن قبـول حفيـدها أو رفضـه منـوط برؤيـة جماعيـة، لا تمتلك أزاءها أي مخالفة أو خروج على اجماعها، وهذا يتجلى في حواره مع (غسان):

((...هي في حيرة من أمرها.
نظر إلى وجهي يتفحصه. قال:
_سوف يكون الأمر أسهل لولا خشيتها من كلام الناس.
سألته ببلاهة:
_وما شأن الناس بقبولي عند أهلي؟ وكيف سيعرف الناس بحكايتي؟!
هز رأسه بخيبة:
_كلام الناس هنا سلطة..ثم أنها ليست حكايتك، هي حكاية عائلة الطاروف. الكل سيعلم بالأمر، فالكويت صغيرة.))[85] .

إن الوعي الثقافي الجمعي هو السبيل الأوحد الذي لا تقوى الجدة (غنيمة) على الخروج على قيمه وأعرافه، ومع ذلك أضحت تعيش وضعاً مزدوجاً تتجاذبه مشاعر متناقضة، تتأرجح بين العاطفة والواجب، فهي ترغب ولو بقدر يسير في ضمّ حفيدها إلى ركب عائلتها، ولكنها تخشى سلطة ترفض ذلك الانضمام، لذلك فهذا ((التجنب لم يكن بسبب انكارهم لتلك البنوة من حيث اثباتها أو واقعيتها وحقيقتها، وإنما بسبب (سوء السمعة) الذي يلحق بعائلة الطاروف حين توافق على ضم فتى ذي ملامح فلبينية إلى أفرادها ذوي الملامح العربية الصريحة))[86] ، فالجدة بوصفها السلطة العليا في العائلة تعلم أن (عيسى/هوزيه) هو ابن العائلة، لكنها تقف عاجزة وخائفة من البوح بتلك الحقيقة ، لذلك بقي الاعتراف بانتمائه سراً، وتقبّلت الأمر ببقائه في ملحق منزلهم، وأن يتمّ التعريف به كخادم مثل بقية الخدم الآخرين[87] .

إن حالة الرفض والتهميش هنا قد رسمت معالم العلاقة التي تجمع بينه وبين جدته من جهة ، وبينه وبين المجتمع الكويتي من جهة أخرى . ولعل ما يبرر هذا الرفض هو (الاختلاف) الذي يطغى على ذلك الآخر، فالملامح واللون واللغة أسباب كافية لتبرير ذلك الرفض ، على الرغم من أن صوته ذكّر جدته بأبيه: **((...لم أفرغ من كلماتي حتى وجدت جدتي تمسك بطرف الشال الملقى حول رقبتها بإهمال تغطي به وجهه. انخرطت تبكي من دون صوت...التفتت عمتي هند إليّ، أنفها أحمر، عيناها تلمعان بالدموع. قالت :"أمي تقول: لك صوت أبيك"))**[88] ، ولكن هذا التشابه لم يغير شيئاً من وجه الاختلاف الذي وُسِمَ به . وتبقى الجدة تعاني من صراع داخلي ممثلا بالتبعية من جهة ، والتحرر من جهة أخرى ، فهو ((صراع مكتوم بين الحقيقة والمظهر، بين السمعة والاعتراف، كما بين العاطفة والموقف، لكن في النهاية تنتصر السمعة على الاعتراف والمظهر على الحقيقة، والموقف على العاطفة))[89] .

---

[85] ( ) ساق البامبو: 210-211 .
[86] ( ) صورة الآخر الحميم في رواية ساق البامبو لسعود السنعوسي، د. محمد بن علي الحسون: 236 .
[87] ( ) ينظر: ساق البامبو:228-230 .
[88] ( ) المصدر نفسه :248 .
[89] ( ) صورة الآخر الحميم في رواية ساق البامبو: 237 .

على الرغم من تنوع أنماط المرأة داخل المتن السردي لروايات السنعوسي ، الا أن هذه الأنماط بقيت غالبها تعيش حالة من علاقة مأزومة مع الآخر ، سواء كانت تلك العلاقة بين المرأة والرجل أو بين المرأة والمرأة ، وهي علاقة أنتجها واقع المجتمع العربي الذي تتحكم به ثقافة الهيمنة والتسلط . وربما هي علاقات قد يمكن ملاحظتها في عدد غير قليل النصوص السردية العربية ، غير أن الملفت في بعض نصوص السنعوسي يكمن في عرضه بعضاً من ردود أفعال عنيفة قد صدرت عن شخصيات نسوية ، وربما في ذلك اشارة الى مستوى القسوة التي قد تتعرض له المرأة العربية في أحايين كثيرة.

قائمة المصادر والمراجع_

_الاغتراب، ريتشارد شاخت، ترجمة: كامل حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1980م.
_الاغتراب (دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلّون الروائية)، يحيى العبد الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى،2005م.
_الاغتراب في أدب حليم بركات (رواية ستة أيام)، بسّام خليل فرنجية، مجلو فصول، المجلد (4)، العدد(1)، أكتوبر/نوفمبر/ديسمبر، 1983م.
_الاغتراب في رواية (البحث عن وليد مسعود) لـ(جبرا إبراهيم جبرا)، د. حماد حسن أبو شاويش، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، يونيه 2006م.
_الاغتراب في الشعر العراقي، محمد راضي جعفر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م.
_أزمة الجنس في القصة العربية، د. غالي شكري، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1991م.
_الانسان والبعد الواحد، هربرت ماركوز، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1988م.
_التخلف الاجتماعي (مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور)، مصطفى حجازي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، الطبعة التاسعة، 2005م.
_تمثلات الهوية النسوية في رواية(دنيا)، لعلوية صبح، محمد بو عزة، مجلة تبيّن للدراسات الفكرية والثقافية، العدد (20)، ربيع 2017م.
_الحرية في أدب المرأة، عفيف فرّاج، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1980م.
_صورة الآخر الحميم في رواية (ساق البامبو) لسعود السنعوسي، د. محمد بن علي الحسون، جامعة الامام الإسلامية، السعودية، مجلة الخطاب (دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب) جامعة مولود معمري _تيزي وزو _ الجزائر، العدد (19)،2015م.
_صورة الشخصية المستلبة في رواية (الثائر) للغزي عمران، علي أحمد عبدة قاسم، جريدة الثورة، العدد(18234)، صنعاء، اليمن، 31 أكتوبر، 2014م.
_طبقات الرقابة في الثقافة العربية، محسن بو عزيزي، مجلة الكوفة، جامعة الكوفة، العدد(4)، العراق، 2013م.
_في البنيوية التركيبية (دراسة في منهج لوسيان غولدمان)، د. جمال شحيد، دار ابن رشد للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1982م.
_المرأة المدجنة، جرمين غرير، ترجمة: هنرييت عبودي، فصل الثورة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت).
_معجم مصطلحات التحليل النفسي، جان لابلانش، ترجمة: مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت،1985م.

_معجم مصطلحات الطب النفسي، إعداد: د. لطفي الشربيني، مراجعة: د. عادل صادق، تحرير: مركز تعريب العلوم الصحية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 2003م.
_الهويات القاتلة (قراءات في الانتماء والعولمة)، أمين معلوف، ترجمة: نبيل محسن، دار وارد، دمشق، الطبعة الأولى، (د.ت).
_الهوية المنسجمة والهوية المتشظية في نص "سيمُرغ"، لمحمد ديب، عزيز نعمان، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، العدد(4)، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر،2009م.

الروايات المدروسة

_سجين المرايا، سعود السنعوسي، الدار العربية للعلوم (ناشرون)، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة عشرة، تشرين الأول/أكتوبر، 1438ه_2016م.
_ساق البامبو، سعود السنعوسي، الدار العربية للعلوم (ناشرون)، بيروت، لبنان، الطبعة الثلاثون، أيلول/سبتمبر، 1437ه_2016م.
_فئران أمي حصة، سعود السنعوسي، الدار العربية للعلوم (ناشرون)، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة عشرة، أيلول/ سبتمبر، 1437ه_2016م.

Feminizm al-Sanusi's novels
Study of styles and multi-relationships

Abstract: This study seeks to approach the identification and diagnosis of female identity in the novels of (Saud al-Sanusi), by exploring the patterns of woman and the multiplicity of her images in the narrative output. She has an active presence in the forming and restructuring of the event, as long as proportionate with the semantic and cultural order that frames her presence within the social system. On the other hand, female identity is formed in these texts through their association with the dominant masculine authority, that determines the position of woman in the social sphere, and the judgment of exclusion and the overthrow of their effective personalities.

This study is based on two topics. First, we addressed the forms of woman, and we stop at the causes of her suffering and her absolute sense of regression and brokenness. The second deals with woman and her relation with man. This relationship takes a social hierarchy that grants man the privilege of domination and social and cultural dominance.

Key words: woman: novels: al-sanusi: multi: relationships